وبقي مترددا بين الرجاء والخوف فخاف ان لا يقبل منه والا يدوم على ذلك وان يختم له بالشر
ويرجو من فضل الله ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات
الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن اتباع الشهوات حتى لا يميل الى المعاصي
فهو اذا كيس ومن عداه فهم المغرورون بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من
اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين فعند ذلك يقولون ما اخبر الله عنهم ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ولا ينبت زرع الا بحراثة
وبذر فكذلك لا يحصل في الاخرة اجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الان
صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى
وقال كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير بل راى الله سبحانه سنة الله في عباده وانه لو
كل نفس بما كسبت وكل نفس بما كسبت رهينة فالذي غركم بالله بعد اذ سمعتم وعقلتم
قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير الاية فان قلت فاين مظنة الرجاء
وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له
التوبة فقال الشيطان واني تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع
القنوط بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات وان التوبة
طاعة تكفر الذنوب قال الله سبحانه قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
ان الله يغفر الذنوب جميعا الاية وقال واني لغفار لمن تاب وعمل صالحا فاذا توقع المغفرة مع التوبة
فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في
السوق فخطر له ان يسعى اليها فقال له الشيطان ما تدرك الجمعة فاقم في سوقك فكذب الشيطان وقام يعدو
يرجو ادراكها فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو ان تاخير الامام للصلاة لسبب
من الاسباب فهو مغرور الثاني ان تفتر نفسه عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض
فيرجي نفسه نعيم الله وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط للعبادة فيقبل
على الفضائل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله هم فيها خالدون والرجاء الاول
بقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني بقمع الفتور المانع من النشاط والتشمير

٦٧

فغاية توقع حسنة على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع أوجب فتورا في العبادة
وركونا الى البطالة فهو غرور كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له
الشيطان ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة
والعبادة فهو الغرور وعند هذا يجب على العبد ان يخوف نفسه بغضب الله واليم عقابه
ويقول لها مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ومع انه كريم خلد الكفار
في النار مع انه لا يضره كفرهم بل سلط المحن والمرض والفقر والجوع على خلق من عباده
في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عذابه فكيف لا اخافه
فالخوف والرجاء قائدان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجاء كافة
الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله وذلك غرور فقد
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد وقع الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم
فقد كان الناس في العصر الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر
من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الان فترى الخلق امنين مسرورين
مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله ويزعمون
انهم واثقون بكرم الله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم
الله وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك
بالمنى وينال بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك السلف الصالح وخوفهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياتي على الناس زمان يخلق فيه القران في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون
امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر
عنهم انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران ومثل ذلك اخبر عن النصارى
فقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا معناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء وياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم
من الدنيا حلالا كان او حراما وقال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واعلم ان القران

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)